الحمام فقلع ثوبه فغسله بعض الطلبة وكان فيه قمل فنهاه
وقال دعه وكان تاركا لجميع ملاذ الدنيا ولم يتزوج ولا يأكل
في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بعد العشاء مما يؤتى به من
عند أبيه ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السحر ولا يشرب
المبرد والمثلج فيه الثلج وكان لا يجمع بين أدمين ولا يأكل
اللحم إلا عندما يتوجه إلى نوى وكان يلبس ثوب قطن
وعمامة سبخانية ولم يتناول فواكه دمشق لشبهة
فيها قال ابن العطار فسألته عن ذلك فقال دمشق كثيرة
الأوقاف وأملاك من هو تحت الحجر والتصرف وهي لا تجوز
إلا على وجه الغبطة والناس لا يفعلونها وقال الشيخ
تقي الدين السبكي ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع
في النووي ووجدت في مجموع بخط الشيخ شمس الدين
النووي أن بواب الرواحية حكى وقال ذهب الشيخ في
الليل فتبعته فانفتح الباب بغير مفتاح فخرج ومشيت
معه خطوات فإذا نحن بمكة فأحرم الشيخ وطاف وسعى
ثم طاف وسعى ثم طاف إلى أثناء الليل ورجع فمشيت خلفه
فإذا نحن بالرواحية قاله الذهبي وتولى مشيخة دار الحديث
الأشرفية بعد موت أبي شامة سنة خمس وستين وفي
البلد من هو أسن منه وأعلى سندا فلم يأخذ من معلومها
شيئا إلى أن مات ولما مرض مرض الموت اشتهى التفاح فجيء
له به فما أكل فلما مات رآه بعض أهله فقال ما فعل الله بك
فقال أكرم نزلي وتقبل عملي وأول قراي جاء به التفاح وتوفي
في يوم الأربعاء رابع عشري رجب سنة ست وسبعين وستمائة

ودفن

ودفن ببلده طيب الله مضجعه روي أنه أنشد أبياتا عند
الوفاة منها هذان البيتان وزيد ما بعدهما بيتا قلبي عشر
في قروحي عليهم رب السرور وجفني يوم تسري البيهم وفي
رحلتي يجمعوا أمتاعي وحبذا مقام بمحط الرحال لديهم
ولا زادي إلا يقيني بأنهم لهم كرم يعني الوفود عليهم
واشتهر أن الخضر عليه السلام كان يجتمع به قال بعض
الجبار أسرابي فيما يرى النائم رؤيا كثيرة قال
وسمعت نوبة تضرب فعجبت من ذلك فقلت ما هذا
فقيل لي الليلة قطب يحيى النووي فاستيقظت من منامي
ولم أكن أعرف الشيخ ولا سمعت به قبل ذلك واتفق أن دخلت حلبة
المدينة يعني في حاجة فذكرت ذلك لشخص فقال الشيخ
في دار الحديث الأشرفية وهو الآن جالس فيها للميعاد
فأسرعت المشي إليها ودخلتها فوجدته جالسا فيها وحوله
جماعة فوقع بصره علي فنهض قائما إلي ومشى وترك
الجماعة ومشى إلي الطريق أبوابها ولم يتركني أتكلم وقال
اكتم ما معك ولا تحدث به أحدا ثم رجع إلى موضعه ولم
أكن رأيته قبلها ولم أجتمع به بعدها وحكى اليافعي في آخر
الحكاية الثانية والثلاثين من روض الرياحين فيما
بينه أن الشيخ خطف عمامته سارق وهرب فتبعه الشيخ
يعدو خلفه ويقول ملكتك إياها قل قبلت والسارق
لم يعلمه خبر من ذلك وقرأ الشيخ رحمه الله كثيرة بقوله
اقتدا بالكتاب العزيز وعملا بقوله بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال أي شأن يبدأ به